مركز بحوث القرآن بجامعة ملايا في ماليزيا

المؤتمر القرآني الدولي السنوي

مقدس٤

ورقة بحثية بعنوان

القراءات القرآنية في ميزان النحويين

دراسة نقدية

تحت محور الشاهد القرآني في العلوم العربية والإسلامية

إعداد

الدكتور/ حامد عيسى مصطفى العسيلي

المحاضر في كلية أصول الدين-جامعة السلطان الشريف علي بيروني-دار السلام

المقدمة

القرآن حجة على غيره ، وليس غيره حجة عليه، والقراءات جزء من القرآن رواها التابعون عن الصحابة عن رسول الله – صلى الله عليه وسلم – فأُخِذ عن الصحابة ما أخبرونا به عن رسول الله – صلى الله عليه وسلم – بما هو عندهم بالمشاهدة والسماع ؛ لما ثبت من عدالتهم وثقتهم وصدقهم.

ولقدحمل أكثر النحويين حملة آثمة على القراء ولحّنوهم وردوا قراءتهم في كثير من المواطن ، وهذه الحملة حمل لواءها البصريون،ثم تطاير شررها إلى بعض الكوفيين فأسهم فيها بعض منهم.

وأول نحوي وقف له على رأي في بعض القراءات هو أبوعمرو بن العلاء، ومن النحويين الذين أنكروا بعض القراءات و عدوا لغتها لحناً أوشذوذاً: أبوعثمان المازني والمبرد والزجاج، وقد صلت الجرأة بالمبرد إلى أنه قال: لو صليت خلف إمام يقرأ " وَمَا أَنْتُمْ بِمُصْرِخِيِّ" [1] " واتَّقُوا الله الَّذي تَسَاءَلون به والأَرْحَامِ"[2] لأخذت نعلي ومضيت

وإذا كان كثير من النحويين لا يُعَوّلون على القراءات، وهم يستبعدون الاستشهاد بها إلا إذا كان هناك شعر يسندها أو كلام عربي يؤيدها أو قياس يدعمها فإن الله – سبحانه وتعالى- هيأ للقراءات القرآنية من يقبلها من النحويين و يَذُبُّ عنها ويجعلها أساساً في التقعيد، .فها هو ذا أحمد بن يحي ثعلب لايرى الترجيح بين القراءات السبع ، وكان يقول : " إذا اختلف الإعراب في القرآن عن السبعة لم أفضل إعراباً على إعراب في القرآن ، فإذا خرجت إلى كلام الناس فضلت الأقوى" [3]، قال أبو حيان : "و نِعْم السلف لنا أحمد بن يحي كان عالماً بالنحو واللغة متديِّناً ثقة ". وفي العصور المتأخرة نزع النحويون إلى قبول القراءات جميعاً ، حتى الشاذة منها، وهذا واضح في تراث ابن مالك وأبي حيان وابن هشام وابن عقيل والسيوطي وغيرهم .

وإذا كان من النحوييين من ينكر على بعض القراءات القرآنية فإنهم لم يهملوها كلية، بل كانوا يحتجون بالقراءات القرآنية التي هم عليها ويستعينون بها وبالقراءة التي كان يقرأ بها غيرهم.

فالخليل وسيبويه – مثلاً – كانا يحتجان بقراءة أهل البصرة أي بقراءة أبي عمرو، ولكنهما لم يصدا عن قراءة غيره من قراء الأمصار، والفراء يحتج بقراءة الكسائي وحمزة ولكنه لا يصد عن قراءة أهل البصرة والمدينة ومكة والشام،

---

[1]) سورة إبراهيم من الآية ٢٢.

[2]) سورة النساء من الآية ١.

[3]) البحر المحيط لأبي حيان ٨٧/٤ ط ١ سنة ١٣٢٨ هـ مطبعة السعادة بمصر.

والبحث يتضمن دراسة جادة لموقف النحويين من القراءات ويسوق نماذج وشواهد لموقفهم منها، ثم يدلف أخيرا للرد على النحاة ويفند حملتهم الآثمة في دراسة تتسم بالحيدة والموضوعية.

هيكلة البحث

المقدمة

المبحث الأول:حملة النحويين على القراءات القرآنية

المبحث الثاني: الاحتجاج للقاعدة النحوية بالقراءات القرآنية

المبحث الثالث: الرد على النحاة

الخاتمة وفيها أهم نتائج البحث

والله الموفق

المبحث الأول

حملة النحويين على القراءات القرآنية

حمل أكثر النحويين حملة آثمة على القراء ولحّنوهم وردوا قراءتهم في كثير من المواطن ، وهذه الحملة حمل لواءها البصريون، ثم تطاير شررها إلى بعض الكوفيين فأسهم فيها بعض منهم، وكان على رأس الكوفيين المنكرين على القراءة: الكسائى والفراء، قال : خلف بن هشام البزاز : سمعت الكسائي يقول : من قرأ " قدْ سَمِعَ" فبين الدال عند السين فلسانه أعجمي[٤] ، ولا يلتفت إلى قول الكسائي ، فالجمهور على البيان [٥] وقراءة البيان سبعية – ايضاً- ،[٦] لكنه – وهو شيخ الكوفيين ورأسهم – يتهم صاحب هذه القراءة الصحيحة بأنه أعجمي ، كما كان الكسائي –أيضا- يعيب قراءة "فَبِذَلِكَ فَلْتَفْرَحُوا" [٧] لأنه وجده قليلاً فجعله عيباً [٨] .

والفراء ينسب الوهم إلى بعض القراء الذين تواترت قراءتهم في السبعة ، فها هو ذا يقول : عن قراءة "بِمُصْرِخِيِّ "[٩] -بكسر الياء [١٠] -: لعلها من وهم القراء ... فإنه قلّ من سَلِمَ منهم من الوهم[١١] ،وممن ضعف هذه القراءة الزمخشري ، قال : "وقري بمصرخيِّ – بكسر الياء- وهي ضعيفة ،وكأنه قدر ياء الإضافة ساكنة وقبلها ياء ساكنة فحركها بالكسر، لما عليه أصل التقاء الساكنين ولكنه غير صحيح "[١٢]، ولا اعتداد بقول الزمخشري وغيره ممن ضعفها أولحنها ،فإنها قراءة صحيحة اجتمعت فيها الأركان الثلاثة المعروفة .

---

[٤]) البحر المحيط ٢٣٢/٨.

[٥]) المرجع السابق الموضع نفسه.

[٦]) انظر : فصل دال (قد) في النشر لابن الجزري ٢/ ٣، ٤ – دار الكتب العلمية بيروت بدون، وإتحاف فضلاء البشر في القراءات الأربعة عشر للبناء الدمياطي ص ١٨ ، مطبعة الميمنية ، مصطفى البابي الحلبي.

[٧]) سورة يونس من الآية ٥٨ .

[٩]- انظر : معاني القرآن للفراء ٧٥/٢ تح الأستاذ / محمد على النجار وآخرين ط دارالسرور- بيروت- لبنان- من دون تاريخ.

[١٠]) هي قراءة حمزة ، وهي لغة بني يربوع، وانظر: النشر ٢٩٨/٢.

[١١]) معاني القرآن ٧٥/٢ وانظر : البحر ٤١٩/٥.

[١٢]) الكشاف للزمخشري ٥٥١/٢ رتبة وضبطه وصححه: مصطفى حسين أحمد . الناشر دار الكتاب العربي سنة ١٤٠٦هـ ١٩٨٦م

وقياسها في النحو صحيح، وذلك أن الياء الأولى وهي ياء الجمع جرت مجرى الصحيح لأجل الإدغام فدخلت ساكنة عليها ياء الإضافة ،وحركت بالكسر على الأصل في اجتماع الساكنين ..[١٣] .

وهذه القراءة أنكرها كثير من النحويين ورموها بالقبح [١٤]، واللحن، والرداءة[١٥] ، والضعف ،[١٦] والكراهة[١٧] ، والغلط،[١٨] والوهم ،[١٩] والشذوذ ،[٢٠] و قالوا: إنها رديئة مرزولة [٢١] .

وأول نحوي وقف له على رأي في بعض القراءات هو أبوعمرو بن العلاءوقد ردّ قراءة نصب "أطهرَ" [٢٢] من قوله تعالى : " هَؤلاءِ بَنَاتِي هُنَّ أطْهر لَكُمْ"[٢٣]، قال سيبويه: "وأما أهل المدينة فينزلون " هو " ها هنا بمنزلته بين المعرفتين ويجعلونها فصلاً في هذا الموضع ، فزعم يونس أن أبا عمرو رآه لحناً وقال:احتبى ابن مروان[٢٤]في ذه في اللحن . يقول: لحن و هو رجل من أهل المدينة كما تقول: اشتمل بالخطأ، وذلك أنه قرأ: " هَؤلاءِ بَنَاتِي هُنَّ أطْهرَ لَكُمْ" فنصب "[٢٥] .

---

[١٣]) النشر ٢٩٩/٢.

[١٤]) حاشية الشيخ ياسين ٦٠/٢ مطبوع بحاشية التصريح بمضمون التوضيح للشيخ خالد ط١ سنة ١٣١٣ هـ المطبعة الأزهريةالمصرية .

[١٥]) البحر ٥/ ٤١٩.

[١٦]) البحر ٥ / ٤١٩وحاشية الشيخ يس٢ /٦٠.

[١٧]) التصريح ٦٠/٢ ط ١ ١٣١٣هـ- المطبعة الأزهرية المصرية .

[١٨]) البحر ٤١٩/٥ و حاشية الشيخ يس ٦٠/٢.

[١٩]) معاني الفراء٧٥/٢ والبحر ٥ /٤١٩.

[٢٠]) االبحر ٤١٩/٥.

[٢١]) النشر ٢ /٢٩٨ والبحر ٤١٩./٥

[٢٢]) هي قراءة محمد بن مروان المدني ، وعيسى بن عمر والحسن وزيد ين علي وسعيد بن جبير ومحمد بن مروان السّدي وانظر : مختصر في شواذ القرآن من كتاب البديع لابن خالويه ص ٦٠ عني بنشره بر جستراسر- مكتبة المتنبي – القاهرة، وحاشية كتاب سيبويه: ٣٩٦/٢ للمحقق الأستاذ: عبد السلام هارون- ط /٢ سنة ١٤٠٢ هـ ١٩٨٢ م الناشر: مكتبة الخانجي بالقاهرة.

[٢٣]) سورة هود من الآية ٧٨.

[٢٤]) يعني محمد بن مروان المدني، الذي قرأ بنصب "أطهر" ، وقد وافقه في قراءة النصب جماعة ،كما سبق بيانه في الهامش الأسبق

[٢٥]) الكتاب ٣٩٦،٣٩٧/٢.

و لما كانت قراءة النصب لعيسى بن عمر – أيضاً- فقد دافع عنها وناظر فيها أبا عمرو: فقال أبو عمرو له: كيف تقول هولاء بنيَّ هم ماذا ؟ فقال عيسى : عشرون رجلاً ، فأنكر ذلك أبو عمرو [٢٦] . وقال أبو عمرو –ايضاً- في قراءة "الشِّجرة "[٢٧] – بكسر الشين- [٢٨] يقرأ بها برابر مكة وسودانها [٢٩] .

وكان للفراء قصب السبق في إنكاره على القراء؛ فقد حكم على بعض القراءات أنها لا تعجبه: قال في قراءة " يُخَافَا " – بضم الياء – من قوله تعالى: " إلاَّ أن يَخَافا ألّا يقيما حُدود اللهِ "[٣٠] فقرأها حمزة على هذا المعنى " ألا أن يخافا " ولايعجبني ذلك [٣١].

وكذلك قراءة ابن عامر[٣٢]"وكذلك زُيِّنَ لكثير من المشركين قتلُ أولادَهم شركائِهم"[٣٣]–ببناء " زُيِّنَ" للمجهول ورفع " قَتْلُ" ونصب " أولادَهم" و جر " شركائِهم" – التي أنكرها الزمخشري[٣٤] قد سبقه الفراء إلى إنكارها[٣٥] فالزمخشري في طعنه هذا مسبوق بالفراء فكان ينبغي الرد على الفراء ، فإنه هو الذي فتح باب القدح على قراءة ابن عامر.

ولأبي الحسن الأخفش آراء من هذا القبيل ، فربما نعت لغة القرآن بالشذوذ ، يعرف ذلك من كلامه عن جمع بعض القراءات بين الهمزتين محققتين ، يقول : وأما قوله " أنُؤْمن كَمَا آمَنَ السُفَهاء ألا إنّهم هم السفهاء "[٣٦]

فقد قرأهما قوم مهموزتين جميعاً[٣٧] وقالوا : " سَوَاءٌ عَلَيهِمْ أأنذَرْتَهُمْ "[٣٨] و " ولا يُحِيقُ المكر السَّيِّءُ إلاَّ بأهلِهِ" [٣٩] ... كل هذا يهمزون فيه همزتين ، وكل هذا ليس من كلام العرب إلا شاذاً [٤٠].

---

[٢٦]) انظر: طبقات النحويين واللغويين ص ٤١.

[٢٧]) من قوله –تعالى- "و لاتقْربا هذِه الشَّجرة " سورة البقرة :٣٥.

[٢٨]) البحر ١٥٨/١.

[٢٩]) انظر : المحتسب ٦٣/١.

[٣٠]) سورة البقرة من الآية : ٢٢٩.

[٣١]) معاني القرآن ١٤٥/١.

[٣٢]) السبعة ص ٢٧٠.

[٣٣]) سورة الأنعام من الآية ١٣٧.

[٣٤])) انظر : الكشاف ٧٠/٢.

[٣٥] انظر معاني القرآن ٣٥٧،٣٥٨/١ و ٢/ ٨١.

[٣٦] سورة البقرة من الآية ١٣.

[٣٧])قال ابن مجاهد : " وأما عاصم وحمزة والكسائي وابن عامر فكان ذلك كله عندهم شيئاً واحداً ، يهمزون همزتين من كلمة التقتا أو من كلمتين ". السبعة ص ١٣٧.

ومن النحويين الذين أنكروا بعض القراءات وعدوا لغتها لحناً أوشذوذاً: أبوعثمان المازني والمبرد والزجاج[٤١]؛ فقد كان للمازني أستاذ المبرد نصيب موفور في إنكاره على القراء، وقد طاب له أن يختم كتابه " التصريف" بالطعن على القراءة والسخرية منهم ، وعدهم من الجهلاء الذين يتعلقون بالألفاظ ويجهلون المعاني .

وقد اقتدى به تلميذه المبرد ، ونقل في المقتضب ما أثبته المازني في تصريفه من الطعن على نافع أحد القراء السبعة[٤٢] ، ومن ذلك ما جاء في كتاب التصريف : " فأما قراءة من قرأ من أهل المدينة "معائش"[٤٣] بالهمز فهي خطأ ، فلا يلتفت إليها ، وإنما أخذت عن نافع[٤٤] بن أبي نعيم ولم يكن يدري مالعربية ، وله أحرف يقرؤها لحناً نحواً من هذا[٤٥] .

وكتاب "المقتضب " حافل بجرأة المبرد على القراء وتطاوله عليهم، ومن يطالع هذا الكتاب يَرَ العجب العجاب ، و يستبن تهجمه على القراءة.وأذكر له – على سبيل المثال لا الحصر – النماذج الآتية:

= قال :وأما قراءة من قرأ " ثُمّ لْيَقْطَعْ فلْيَنْظُرْ"[٤٦] فإن الإسكان في لام "فلْينظر" جيد ، وفي لام "ليقطع" لحن، لأن ثم منفصلة من الكلمة وقد قرأ بذلك يعقوب[٤٧] بن إسحاق الحضرمي ....[٤٨]

---

[٣٨])سورة البقرة من الآية ٦ . قال ابن مجاهد : وأما عاصم وحمزة والكسائى إذا حقق وابن عامر فبالهمزتين : أأنذرتهم" . السبعة ص١٣٧.

[٣٩]) سورة فاطر من الآية ٤٣، و هي قراءة غير حمزة وهشام . وانظر الكشف ١١٢/٢.

[٤٠]) معاني القرآن ١٩٨،١٩٩/١.

[٤١]) انظر : أصول النحو العربي للدكتور / محمد خير الحلواني ص ٣٦ ط محل العليا للتصوير والتجليد – بريدة.

[٤٢]) انظر : المقتضب للمبرد ١١٩/١ قسم الدراسة للمحقق / الشيخ محمد عبد الخالق عضيمة . الناشر المجلس الأعلى للشئون الإسلامية ١٣٩٩هـ

[٤٣]) سورة الأعراف من الآية :١٠.

[٤٤]) في رواية خارجة عنه ، انظر السبعة ٢٧٨.

[٤٥]) المنصف شرح الإمام أبي الفتح عثمان بن جني لكتاب التصريف للإمام أبي عثمان المازني ٣٠٧/١ تح / إبراهيم مصطفى وعبد الله أمين ط مصطفى الحلبي سنة ١٩٧٣م.

[٤٦]) سورة الحج من الآية :١٥.

[٤٧]) وهي – أيضاً – قرأءة عاصم وحمزة والكسائي، وروي عن نافع التسكين والكسر.
وانظر: السبعة ٤٣٤ ،٤٣٥ والنشر ٣٢٦/٢.

[٤٨]) المقتضب ٤١٦/٢.

= وحكي عنه أنه قال : ما عرفت أو ما علمت أن أبا عمرو لحن في صميم العربية إلا في حرفين إحداهما : " عاد لُولى " [٤٩] والأخرى " يؤده إليك"[٥٠] ...[٥١] بإدغام التنوين في اللام بعد نقل حركة الهمزة إليها وصلاً و ذلك في القراءة الأولى وبإسكان الهاء من " يُوَدِّهْ" في الثانية.

= وقال – أيضاً – فأما قراءةأهل المدينة " هولاءِ بَنَاتِي هُنَّ أَطْهَرَلَكُمْ" [٥٢] فهو لحن فاحش ...[٥٣]

= منع سيبويه [٥٤] والمبرد[٥٥] إدغام الراء في اللام ،وقد جاء ذلك في قراءة أبي عمرو في قوله – تعالى – " فَيَغْفِر لمن يَّشاءُ" من روايتي [٥٦]الدوري والسوسي[٥٧] – بخُلْف – [٥٨] .

= فضّل المبرد بعض القراءات على بعض ، قال في قوله –تعالى– " أَوْ جَاؤُكُمْ حَصِرَتْ صُدُورُهمْ" [٥٩]: فإنما القراءة هي : " أو جاءؤكم حصرةً صدورهم "، والقراءة التي زعم المبرد أنها هي الصحيحة إنما هي قراءة يعقوب، والقراء السبعة يقرأون " حَصِرَتْ صُدُوُرُهُمْ" [٦٠] .

=وصلت الجرأة به إلى أنه قال: لو صليت خلف إمام يقرأ " وَمَا أَنْتُمْ بِمُصْرِخِيِّ" [٦١] " واتَّقُوا الله الَّذي تَسَاءَلون به والأرْحَامِ"[٦٢] لأخذت نعلي ومضيت .[٦٣] و قد سبق أن قراءة " بِمُصْرخِيِّ" – بكسر الياء المشددة – لغة من لغات العرب وأنها قراءة حمزة، وقد دافع عنها أبوحيان [٦٤] وكذلك قراءة " والأرْحَامِ " ، لحمزة [٦٥] – أيضاً – .

---

[٤٩]) سورة النجم من الآية :٥٠ ووافقه فيها – من السبعة – نافع ، انظر الإتحاف ص ٢٤٩.

[٥٠]) سورة آل عمران من الآية : ٧٥ وقراءة أبي عمرو هذه مروية عنه بخلاف، وانظر السبعة :٢١١ ووافقه فيهاحمزة وهشام وابن وردان ، انظر : الإتحاف ص ١٠٦.

[٥١]) انظر : نزهة الالباء في طبقات الأدباء لعبد الرحمن الأنباري ص ٣٦٥.القاهرة ١٢٩٤هـ.

[٥٢]) سورة هود من الآية رقم ٧٨.

[٥٣]) المقتضب ٤٢٦/٤.

[٥٤]) انظر : الكتاب ٤٤٨/٤.

[٥٥]) انظر: المقتضب ٢١٢/١.

[٥٦]) سورة البقرة من الآية ٢٨٤.

[٥٧]) انظر : النشر ٢٣٧/٢.

[٥٨]) الإتحاف ص ١٠١.

[٥٩]) المقتضب ١٤١/٤.

[٦٠]) النشر ٢/ ٢٥١.

[٦١]) سورة إبراهيم من الآية ٢٢.

[٦٢]) سورة النساء من الآية ١.

[٦٣]) انظر : درة الغواص في أوهام الخواص للحريري ص ٩٥ الطبعة الأولى .

[٦٤]) انظر: البحر ٥/ ٤١٩، ٤٢٠.

وقد كا ن للزجاج صوْلات و جوْلات مع القراء ؛ فقد قال في قراءة جر " الأرحامِ" السابقة: " القراءةُ الجيدة نصب الأرحام، فأما الجر في الأرحام فخطأ في العربية لا يجوز إلا في اضطرار شعر ، وخطأ – أيضاً – في أمر الدين عظيم [٦٦].

وها هو ذا أبو عمرو يقرأ " إنَّ هَذَّين لَسَاحران"[٦٧] – بتشديد النون من " إنَّ " ونصب هذين– [٦٨] وهي قراءة محكمة تتفق مع قواعد النحويين في إعراب المثنى ، ولكن أحداً من القراء لم يسلم من الغمز أوالهجوم[٦٩] ؛.يقول الزجاج معارضاً له:لا أجيز قراءة أبي عمرو لأنه خلاف المصحف [٧٠] ،يقول ذلك وكأن أبا عمرو قد اخترعها اختراعاً دون أن يكون لها سند قوي من الرواية الموثوق بها كل الثقة ، وأبوعمرو عدْل يعلم علم اليقين أن القراءة سنة متبعة وماكان له أن يخالف ذلك في قليل أو كثير [٧١].

هذا ، وقد ادعى ابن جني أن سيبويه أعلمُ بضبط القراءة من القراء ، يقول : قرأ أبو عمرو [٧٢] مختلساً غير ممكن كسر الهمزة حتى دعا ذلك مَن لطف عليه تحصيل اللفظ أن أبا عمرو كان يسكن الهمزة ، والذي رواه صاحب الكتاب اختلاس هذه الحركة في " بَارِئكم" [٧٣] لا حذفها ألبتة ،وهو أضبط لهذا الأمر من غيره من القراء الذين رووه ساكناً.[٧٤]

وقد اعتمد بعضهم الشائع من اللغات وأغفل بعضها ، مثال ذلك " غُدْوَة" وفيها لغتان ذكرهما سيبويه[٧٥]، اللغة الأولى : استعمالها معرفة علم جنس فلا تدخل عليها " أل "، واللغة الثانية استعمالها نكرة

---

[٦٥]) السبعة ٢٢٦.

[٦٦]) معاني القرآن و إعرابه ٦/٢ شرح وتحقيق د/ عبد الجليل عبده شلبي ط عالم الكتب .

[٦٧])

[٦٨]) السبعة :٤١٩.

[٦٩]) راجع : نظرية النحو القرآني : نشأتها وتطورها ومقوماتها الأساسية للدكتور / أحمد مكي الأنصاري ص ٥٥ سنة ١٤٠٥ هـ مطابع أبو الفتوح.

[٧٠]) البحر ٢٥٥/٦.

[٧١]) انظر: الدفاع عن القرآن ضد النحويين والمستشرقين للدكتور / أحمد مكي الأنصاري ص ٦٢ دار المعارف بمصر سنة ١٩٧٣م.

[٧٢]) قراءته في السبعة ص ١٥٥ بخلاف.

[٧٣]) سورة البقرة من الآية ٥٤.

[٧٤]) الخصائص ٧٢،٧٣/١ تح / محمد على النجار– مطبعة دار الكتب .

[٧٥]) قال سيبويه :" واعلم أن غدوة وبكرة جعلت كل واحدة منهما اسماً للحين ،كما جعلوا أم حبين اسماً لدابة معروفة ، وزعم الخليل أنه يجوز أن تقول : آتيك اليوم غدوة وبكرة تجعلها بمنزلة ضحوة". الكتاب ٢/ ٤٨.

فيجوز تعريفها، وقد جاء على هذه اللغة قراءة ابن عامر : " يدعُون ربَّهُمْ بالغُدوة"[٧٦] – بالواو–[٧٧] ،وقد جهل أبو عبيد القاسم ابن سلام اللغة الثانية فأساء الظن بابن عامر وقال: إنما قرأ تلك القراءة اتباعاً لخط المصحف[٧٨] ، وليس في إثبات الواو في الكتاب دليل على القراءة بها ، لأنهم كتبوا الصلاة والزكاة بالواو ولفظهما على تركها ، وهذا من أبي عبيد جهل بهذه اللغة التي حكاها الخليل [٧٩] وسيبويه[٨٠].

وإذا كان كثير من النحويين لا يُعَوّلون على القراءات، وهم يستبعدون الاستشهاد بها إلا إذا كان هناك شعر يسندها أو كلام عربي يؤيدها أو قياس يدعمها [٨١] فإن الله – سبحانه وتعالى– هيأ للقراءات القرآنية من يقبلها من النحويين و يَذُبُّ عنها ويجعلها أساساً في التقعيد، .فها هو ذا أحمد بن يحيى ثعلب لايرى الترجيح بين القراءات السبع ، وكان يقول : " إذا اختلف الإعراب في القرآن عن السبعة لم أفضل إعراباً على إعراب في القرآن ، فإذا خرجت إلى كلام الناس فضلت الأقوى" [٨٢]، قال أبو حيان : "و نِعْم السلف لنا أحمد بن يحيى كان عالماً بالنحو واللغة متديِّناً ثقة " [٨٣].

وفي العصور المتأخرة نزع النحويون إلى قبول القراءات جميعاً ، حتى الشاذة منها، وهذا واضح في تراث ابن مالك وأبي حيان وابن هشام وابن عقيل والسيوطي وغيرهم [٨٤]، ويعد أبو حيان أنْموذجاً صادقاً للدفاع عن القراءات، فقد كان شديد الحماسة في الدفاع عنها ، يقول: " وكثير من هؤلاء النحاة يسيئون الظن بالقراءة، ولا يجوز لهم ذلك"[٨٥] .

ومن هنا كان أبو حيان يقبل لغة القرآن وقراءته جميعاً وهي عنده حجة ، ولو نُسِبَ إليها الشذوذ أو طُعِنَ فيها ، ولهذا رَضِيَ أن يقال : " مَعَائِشَ " [٨٦] احتجاجاً بقراءة نافع [٨٧] وإن ردها المازني [٨٨] و غيره من

---

[٧٦]) سورة الأنعام من الآية :٥٢.

[٧٧]) اتفق القراء على قراءة " بالغداة " – بألف – إلا ابن عامر فإنه قرأ " بالغُدْوَةِ" في كل القرآن بالواو، وانظر: السبعة ص٢٥٨.

[٧٨]) حيث رسمت كلمة "بالغداة" بالواو هكذا :" بالغدوةِ" وانظر :شرح تلخيص الفوائد وتقريب المتباعد ص ٢٩.

[٧٩]) انظر : الكتاب ٤٨/٢.

[٨٠]) انظر : البحر ١٣٦/٤.

[٨١]) انظر: القرآن وأثره في الدراسات النحوية ص ٩٧.

[٨٢]) البحر ٨٧/٤.

[٨٣]) البحر ٨٧/٢.

[٨٤]) انظر : أصول النحو العربي ص ٣٦.

[٨٥]) البحر ٢٧١/٤.

[٨٦]) سورة الأعراف من الآية ١٠.

النحويين.[٨٩] وأجاز تسكين الضمير احتجاجاً بقراءة أبي عمرو [٩٠] " يُوَدِّه" [٩١] ...[٩٢] و تسكين " بارِئكم"[٩٣] احتجاجاً بقراءة أبي عمرو [٩٤] -أيضاً – وإن طعن فيها المبرد [٩٥] .

لقد كان أبو حيان لايقف عند هذا الحد بل يتعداه إلى مهاجمة بعض النحويين الذين أنكروا قراءات منقولة، من ذلك أن الزمخشري [٩٦] أنكر على ابن عامر – وهو مقرىء أهل الشام – قراءة[٩٧] من قراءاته، فقال أبو حيان: " وأعجب لأعجمي ضعيف في النحو يرد على عربيٍّ صريحٍ محض قراءةً متواترة موجوداً نظيرها في لسان العرب..." [٩٨] .

ويردُّ على البصريين موقفهم من القراءات فيقول :" والقراءات لا تجيء على ما علمه البصريون ونقلوه " [٩٩] ويقول: "ولسنا متعبِّدين بأقوال نحاة البصرة " [١٠٠] .

والسيوطي لا ينقص شأناً في الدفاع عن القراءات بكل ما ثبت أنه قُرِىءَ به،سواء أكان متواتراً أم شاذاً، فهو يرى أن الناس قد أطبقت على الاحتجاج بالقراءات الشاذة في العربية إذا لم تخالف قياساً معروفاً ، بل لو خالفتْه يحتج بها في مثل ذلك الحرف بعينه ، وإن لم يجز القياس عليه ،كما يحتج بالجمع على وروده ومخالفته للقياس في ذلك الوارد بعينه..[١٠١]

---

[٨٧]) السبعة ص ٢٧٨.

[٨٨]) انظر: المنصف شرح ابن جني لكتاب التصريف ٣٠٧/١.

[٨٩]) انظر البحر ٤/ ٢٧١.

[٩٠]) قراءته في السبعة ص ٢١١.

[٩١]) سورة آل عمران : ٧٥.

[٩٢]) انظر: البحر ٤٩٩/٢.

[٩٣]) سورة البقرة من الآية ٥٤.

[٩٤]) قراءته في السبعة ص ١٥٥ – بخلاف – .

[٩٥]) انظر: البحر ٢٠٦/١.

[٩٦]) انظر: الكشاف ٧٠/٢.

[٩٧]) هي قراءة " وَكَذلِك زُيِّنَ لِكثيرٍ من المشْرِكين قَتْلُ أولادَهمْ شُرَكائِهِمْ" سورة الأنعام من الآية ١٣٧ - ببناء " زُيِّنَ " للمفعول ونصب " أولادَهمْ" و جر " شُرَكائِهِمْ " ، وقراءته في السبعة ص ٢٧٠.

[٩٨]) البحر ٤ / ٢٣٠.

[٩٩]) البحر ٢/ ٣٦٣.

[١٠٠]) البحر ٢/ ٣٦٣.

[١٠١]) انظر: الاقتراح للسيوطي ص ١٥، ١٦ ط ٢- دائرة المعارف العثمانية مجيد آيار .

المبحث الثاني

الاحتجاج للقاعدة النحوية بالقراءات القرآنية[١٠٢]

إذا كان من النحويين من ينكر على بعض القراءات القرآنية فإنهم لم يهملوها كلية، بل كانوا يحتجون بالقراءات القرآنية التي هم عليها ويستعينون بها وبالقراءة التي كان يقرأ بها غيرهم.

فالخليل وسيبويه – مثلاً – كانا يحتجان بقراءة أهل البصرة أي بقراءة أبي عمرو، ولكنهما لم يصدا عن قراءة غيره من قراء الأمصار، والفراء يحتج بقراءة الكسائي وحمزة ولكنه لا يصد عن قراءة أهل البصرة والمدينة ومكة والشام .[١٠٣] فمن المعلوم أن النحويين يستشهدون بالقراءات الموافقة لقواعدهم، وإلا تركوها جانباً فإن وافقت القواعد فهي مقبولة ومُعَوَّلٌ عليها عندهم .

وهاك بعض الأمثلة على الاحتجاج للقاعدة النحوية باللغة القرآنية :

= قال سيبويه :وحدثنا يونس – أيضاً – تصديقاً لقول أبي الخطاب أن العرب تقول: هذا أنت تقول كذا وكذا ، لم يرد بقوله : هذا أنت أن يُعْرِفَهُ نفسه كأنه يريد أن يعلمه أنه ليس غيره ، هذا محال، ولكنه أراد أن ينبهه كأنه

---

[١٠٢]) الاحتجاج : تقديم الحجة، وكلمة الحجة في كتب الاحتجاج للقراءات لا يراد بها دليل؛ لأن دليل القراءة صحة إسنادها، وإنما يراد بها وجه الاختيار الذي اختار القارىء بسببه قراءته من بين القراءات الصحيحة.

وقد يكون هذا الوجه تعليلاً نحوياً ولغوياً ومعنوياً " انظر: مقدمة كتاب حجة القراءات لأبي زرعة للمحقق / سعيد الأفغاني ص ٣٤،٣٥ – طبعة مؤسسة الرسالة " .

وقد كان النحو منذ عصر مبكر هو السبيل الأول في التعرف على الحجة في القراءات .. انظر: نحو القراء الكوفيين لخديجة أحمد مفتي ص ٣٥٦ ط ١ سنة ١٤٠٦ هـ ١٩٨٥ م . الفيصل – مكة المكرمة . نقلاً عن مجلة البحث العلمي والتراث الإسلامي ، العدد الرابع سنة ١٤٠١هـ تصدرها كلية الشريعة بمكة المكرمة – جامعة أم القرى – من موضوع الاحتجاج للقراءات : بواعثه وتطوره وأصوله وثماره ، للدكتور : عبد الفتاح إسماعيل شلبي ص ٧١، ٧٧.

وقد كان الكسائي يقول : حداني على النظر في النحو أني كنت أقرأ على حمزة فتمرّ بي الحجة ولا أتجه، لها، ولا أدري ما الجواب فيها، فأرجع إلى المختصر الذي عمله أهل الكوفة وكان يسمى هذا المختصر "الفصل" فلا أتبين فيه حجة ، وكانت قبائل العرب متصلة بالكوفة ، ولقيت القبائل ، جعلت أسألهم فيخبروني مشافهة وينشدوني الأشعار ، فأنظر إلى ما في يدي وإلى ما أسمعه منهم فأجد الحجة تلزم ما عندي ، فما زلت أكتب عنهم حتى نفدت نفقتي " . انظر مجلة البحث العلمي ص ٢٦٦" .
وهذا المنهج الذي يحتج للقراءات المتواترة بالنحو عكس للوضع الصحيح . انظر في أصول النحو ص ٣٠ ومابعدها للأستاذ / سعيد الأفغاني ط٣ سنة ١٩٦٤ م – دمشق.

[١٠٣]) انظر: أصول النحو العربي ص٣٢،٣٣.

قال: الحاضر عندنا أنت ، والحاضر القائل كذا وكذا أنت ،وإن شئت لم تقدم "ها"، في هذا الباب ،قال تعالى :" ثُمَّ أَنْتُمْ هَؤلاءِ تَقْتُلونَ أَنْفُسَكُمْ" [١٠٤] ...[١٠٥] ،فقد عرض سيبويه ظاهرة استقرى فيها شيخان له كلامَ العرب الفصحاءِ هما: أبو الخطاب الأخفش الأكبر ، ويونس بن حبيب ، ثم أضاف إليها ظاهرة أخرى مستعيناً فيها بلغة القرآن الكريم ، فهذا مثال لاحتجاجه بالقرآن الكريم.

ومثال احتجاجه بالقراءات القرآنية ما ورد في حديثه عن ضمير الفصل، إذ ذكر أن كثيرا من العرب يجعلونه مبتدأ ويرفعون ما بعده على الخبر ، ثم قال : و حدثنا عيسى أن ناساً كثيراً يقرؤنها: " ومَاَ ظَلَمْناهُمْ ولكِنْ كانُوا هُم الظَالِمُونَ"[١٠٦] ...[١٠٧] .وهذه القراءة في عرف المتأخرين شاذة.

= كان الأخفش الأوسط – على الرغم من أنه قد ينعت لغة القرآن بالشذوذ ، كما فعل في قراءة من جمع بين الهمزتين [١٠٨] يعول كثيراً على لغة القرآن ويبني عليها كثيراً من القواعد النحوية ، حتى إنه انفرد بآراء خالف فيها أساتذته وجمهور النحويين، من ذلك أنه أجاز أن تزاد "مِنْ" في الإيجاب محتجاً بقول الله – سبحانه وتعالى- " ويُكَفِّرْ عَنْكُمْ منَ سَيِّئاتِكُمْ"[١٠٩] قال : "...فإن قلت: إنما يكون هذا في النفي والاستفهام فقد جاء في غير ذلك قال: " ويُكَفِّرْ عَنْكُم من سَيِّئاتِكُمْ" فهذا ليس باستفهام ولا نفي "[١١٠] .

وإذا كان من البصريين من يعارض ويرفض فإن فيهم من يقبل القراءة ويستدل بها، فمن نحويي البصرة ومؤسسي مدرستها من هم قراء مشهورون مثل أبي عمرو بن العلاء[١١١] و يعقوب بن إسحاق الحضرمي (وهما من القراء العشرة) وعيسى بن عمر، وهؤلاء الثلاثة من مؤسسي علم النحو، وهم أساتذة لأبرز علماء البصرة كالخليل وسيبويه .

---

[١٠٤]) سورة البقرة من الآية : ٨٥.

[١٠٥]) الكتاب /٣٥٥.

[١٠٦])) سورة الزخرف : ٧٦ ، و"الظالِمون" قراءة عبد الله وأبي زيد النحويين ، مختصر ابن خالويه ص ١٣٦ والبحر ٢٧/٨.

[١٠٧]) الكتاب ٢ /٣٩٢، ٣٩٣.

[١٠٨]) انظر معاني القرآن الكريم ١٩٨/١، ١٩٩ .

[١٠٩]) سورة البقرة من الآية: ٢٧١.

[١١٠]) معاني القرآن ٢٧٢/١.

[١١١]) سبق أن أبا عمرو هو أقدم نحوي وقف له على رأي في بعض القراءات؛ وأنه اعترض على قراءة "أطهرَ لكم" – بالنصب- وعدها لحناً، وهو ما رواه يونس عنه . وقال ابن خالويه : " وقال أبو عمروبن العلا : من قرأ هن أطهر – بالفتح- فقد تربع في لحنه " مختصر ابن خالويه ص ٦٠ وقد جاء فيه :"... فقد تربع في الجنة..." وهو خطأ مطبعي، والصواب ما ذكرناه".

ثم إن وجود بعض القراء المشاهير بالإضافة إلى كونهم نحويين كباراً في صفوف البصريين،وتَتَلْمُذ مشاهير النحويين البصريين عليهم يدل دلالة قاطعة على أن المذهب البصري خاصة علماءه الآوائل لم يكن في منأى عن القراءات والاعتماد عليها ، أولم يقفوا حيالها على الأقل موقف من جاء بعدهم من بصريي القرن الثالث ، إذ ليس من المعقول – مثلاً – أن يأخذ الكوفيون بقراءة أبي عمرو، وتلاميذه من البصريين يتحرزون عنها ويبتعدون ،وفي المقابل فإننا نجد بعض الكوفيين يعارض بعض القراءات ويضحضحها[١١٢]..[١١٣] .

وإذا لم يكن من منهج البصريين – في الأكثر الأغلب – الاحتجاج بالقراءات والقياس عليها وجعلها أصلاً من أصول الاستشهاد – لأنهم لم يكونوا يعدون من القراءات حجة إلاَّ ماكان موافقاً لقواعدهم وأقيستهم وأصولهم المقررة فإن خالفتها ردوها [١١٤]– فإن القراءات كانت مصدراً من مصادر النحو الكوفي[١١٥] ؛ فالكوفيون – في أغلب الأحيان – يأخذون بالقراءات السبع وبغيرها من القراءات يحتجون بها ، ويجيزون ما ورد فيها مما خالف الوارد عن العرب ويقيسون عليها فيجعلونها أصلاً من أصولهم التي يبنون عليها القواعد والأحكام ، وهم إذا رجحوا القراءات التي يجتمع عليها القراء لا يرفضون غيرها ولا يغلطونها [١١٦] .

وسأذكر بعض الأمثلة من القراءات التي قبلها الكوفيون ورتبوا عليها حكماً نحوياً ورفضها البصريون:

= قراءة ابن عامر: " وَكَذَلِكَ زُيِّنَ لِكَثِيرٍ من الْمُشرِكِينَ قَتْلُ أولادَهُمْ شُرَكائهِمْ" [١١٧] ، – ببناء زين للمجهول ورفع قتل ونصب أولادَهم وجر شركائِهم –[١١٨] وقد غلَّط البصريون ابن عامر؛لأن القاعدة عندهم تمنع الفصل بين المتضايفين بالمفعول إلاّ في ضرورة الشعر ، والقرآن ليس فيه ضرورة ، وإذا وقع الإجماع على امتناع الفصل بينهما في حال الاختيار، سقط الاحتجاج بها على الاضطرار [١١٩].

---

[١١٢]) معنى" يضحضحها" يقلل من شأنها – يقال : ضحضح السراب :ترقرق. وانظر المعجم الوسيط "ض ح ض ح".

[١١٣]) انظر أثر القرآن والقراءات في النحو ص ٢٥٣ –رسالة دكتوراه إعداد محمد سمير عبد الباقي بكلية اللغة العربية بالقاهرة .

[١١٤]) انظر أثر القرآن والقراءات في النحو ص ٢٥٣ –رسالة دكتوراه إعداد محمد سمير عبد الباقي بكلية اللغة العربية بالقاهرة .

[١١٥]) انظر: مدرسة الكوفة للدكتور / مهدي المخزومي ص ٣٣٧ ط دار الأندلس بيروت .

[١١٦]) انظر: الشاهد وأصول النحو في كتاب سيبويه ص ٤٧.

[١١٧]) سورة الأنعام من الآية ١٣٧.

[١١٨]) السبعة ص ٢٧٠ والتيسير ص ١٠٧

[١١٩]) انظر: الإنصاف في مسائل الخلاف بين النحويين البصريين والكوفيين ، لأبي البركات الأنباري ٢/ ٤٣٥ طبعة المكتبة العصرية، صيدا ، بيرون سنة ١٤٠٧هـ– ١٩٨٧م ..

وقد اشترك في وضع هذه القاعدة النحوية المألوفة كثير من العلماء من أمثال سيبويه[١٢٠] والفراء[١٢١] وابن خالويه [١٢٢] ، ووافقهم عليها كثير من المخالفين والمفسرين على السواء، وذلك بالوقوف إلى جانبها تارة بالتصريح، وتارة بالتلميح، ناسين أومتناسين أن هذا الأسلوب – أسلوب الفصل بين المتضايفين – ورد في القرآن الكريم، وأن لغة القرآن أفصح أساليب العربية على الإطلاق، ومن هؤلاء : الزمخشري[١٢٣] والطبري [١٢٤] والعكبري [١٢٥] وابن يعيش [١٢٦] وغيرهم .

أما الكوفيون – عداالفراء – فإنهم قبلوها، ورتبوا عليها جواز الفصل بين المتضايفين بغير الظرف والجار والمجرور[١٢٧] ،وقد تورط الفراء الكوفي –كما سبق –[١٢٨] في الطعن على قراءة ابن عامر الذي أخذ القراءة عن عثمان قبل ظهور اللحن [١٢٩] يقول: " وليس قول من قال " مُخْلِفَ وَعْدَهُ رُسُلِهُ "[١٣٠] ولا "زُيِّنَ لِكَثِيرٍ من المشْرِكِينَ قَتْلُ أولادَهُمْ شُرَكائِهِمْ" بشيء [١٣١] ، وقد قبلها الكوفيون لتواترها، فضلاً عن ورود ما يؤيدها من كلام العرب من أشعارهم[١٣٢] ونثرهم[١٣٣] .

---

[١٢٠]) انظر الكتاب والسيرافي على حاشيته ١/ ٣٤٧ – ط ١ سنة١٣١٦ بولاق.

[١٢١])) انظر : معاني القرآن ٣٥٧/١، ٣٥٨ و" أبو زكرياء الفراء ومذهبه في النحو واللغة، للدكتور / أحمد مكي الأنصاري ص ٣٩٠ وما بعدها ، طبع المجلس الأعلى للفنون والعلوم الاجتماعية سنة ١٣٨٤هـ- ١٩٦٤ م .

[١٢٢]) انظر : الحجة في القراءات السبع ص ١٢٥ تح ،د/ عبد العال سالم مكرم ط ٢ دارالشرق.

[١٢٣]) انظر : الكشاف ٧٠/٢.

[١٢٤]) انظر : جامع البيان ٣١/٨.

[١٢٥]) انظر : التبيان في إعراب القرآن ٢٦٢/١ ط١ سنة ١٣٩٩هـ- ١٩٧٩م. المكتبة التوفيقية .

[١٢٦]) انظر: شرح المفصل ١٩/٣.

[١٢٧]) انظر: الإنصاف المسألة رقم :٦٠ .(٤٢٧/٢ وما بعدها).

[١٢٨]) قراءته في السبعة ص٢٧٠ .

[١٢٩]) انظر: البحر ٤/ ٢٢٩.

[١٣٠]) سورة إبراهيم من الآية ٤٧، وقراءة الجمهور " بإضافة" مخلف" إلى" وعْدِهِ" ،وقرأت فرقة " مُخْلِفَ وَعْدَهُ رُسُلِهِ)) بنصب "وَعْدَه" و إضافة "مخلف" إلى" رُسُلِهِ" والفصل بين المتضايفين بالمفعول به . وانظر البحر ٤٣٨/٥،٤٣٩.

[١٣١]) معاني القرآن ٣٥٧/١ والنظر الجز الثاني ص ٨١.

[١٣٢]) كقوله : فَزَجَجْتُها بِمِزَجَّةٍ # زَجَّ الْقُلوصَ أبي مَزَاده

وقوله :

تَمُرُّ على على ما تَسْتَمِرُّ وقَدْ شَفتْ

غلائلَ عَبْدُ القيسِ مِنْهَا صُدُورِها

وما أحسن قول بعض المحدثين : وكل من تصدى للرد على الزمخشري لم يستطع أن ينقض كلامه عن قراءة ابن عامر بشاهد من الكلام المنثور جاء فيه الفصل بين المتضايفين بالمفعول به، كما في قراءة ابن عامر[١٣٤] = قراءة حمزة الزيات : " واتَّقُو الله الَّذي تسأءُلونَ بِهِ والأرْحامِ" [١٣٥] – بجر الأرحام –[١٣٦] وحمزة شيخ الكسائي في القراءة.[١٣٧] وقد قبل الكوفيون هذه القراءة ورتبوا عليها جواز العطف على الضمير المجرور من غير إعادة الجار [١٣٨] ، وقال المبرد : هذا مما لا يجوز عندنا [١٣٩] ، و نسب إليه ابن يعيش أنه قال: لا تحل القراءة بها، ثم لام المبرد على ذلك فقال: هذا القول غير مرضي من أبي العباس ؛ لأنه قد رواها إمام ثقة[١٤٠] ،وقد أجازها يونس [١٤١]، وأما سيبويه فقد وصف القاعدة بالقبح، يقول: " ومما يقبح أن يشركه المظهر علامة المضر المجرور وذلك قولك : مررت بك وزيدٍ"[١٤٢] ولا يستطيع قاريءُ نصِّ سيبويه أن يقول : إنه خطأ هذه القراءة لأنه لم ينص عليها ، وعنده القراءة لا تخالف لأنها سنة.[١٤٣]

ومهما يكن من شيء فقراءة الخفض قرأ بها قارئ من القراء السبعة ، المجمع على قبول قراءتهم الصحيحة السند إلى رسول الله – صلى الله عليه وسلم – فلا يجوز بحال من الأحوال تخطئتها ؛ لأنها سنة [١٤٤].

والتقدير في الأول : زج أبي مزادة القلوصَ ، والتقدير في الثاني شفت غلائلَ صدورِها عبدُ القيس منها. وانظر الإنصاف ٤٢٧/٢: ٤٢٩.

[١٣٣]) من ذلك ما حكاه الكسائي عن العرب: هذا غلامُ والله زيدٍ ، مع ملاحظة أن الفصل هنا بالقسم. وانظر : الإنصاف ٤٣١/٢.

[١٣٤]) مجلة مجمع اللغة العربية ، الجزء السابع عشر ص ٤٠ – بحث الأستاذ على النجدي ناصف: بين القراء والنحاة ص ٣٩.

[١٣٥]) سورة النساء :من الآية :١

[١٣٦]) السبعة ص ٢٢٦ والتيسير : ٩٣

[١٣٧]) انظر : غاية النهاية ٢٦٢/١.

[١٣٨]) انظر: الإنصاف ٤٦٣/٢.

[١٣٩]) انظر: الكامل للمبرد ٣٩/٣ تح محمد أبو الفضل إبراهيم وآخر ، مطبعة نهضة مصر سنة ١٩٥٦م .

[١٤٠]) انظر: شرح المفصل ٧٨/٣.

[١٤١]) انظر: البحر ١٤٧/٢.

[١٤٢]) الكتاب ٣٨١/٢.

[١٤٣]) الكتاب ١٤٨/١.

[١٤٤]) نحو القراء الكوفيين ص ١٠٥.

= ذهب الكوفيون إلى إعراب " أيهم" واحتجوا بقراءة : ثُمْ لَنَنْزِعَنَّ من كُلِّ شيعةٍ أيَّهمْ أشدّ "[١٤٥] – بالنصب-[١٤٦] ورد البصريون احتجاج الكوفيين بها ووصفوا القراءة بالشذوذ وأنها جاءت على لغة شاذة لبعض العرب .[١٤٧] .

وهكذا نستطيع أن نجد عدداً كبيراً من القراءات التي بنى على أساسها الكوفيون قواعدهم، تركها البصريون ورفضوها ، وهذا لا يعني أن كل البصريين رفضوا القراءات بل وجدنا بعضهم يقبلها، على حين نجد بعض الكوفيين يرد بعض القراءات[١٤٨].

وعلى كل حال فإن الأغلبية من الكوفيين كانوا يحترمون القراءات ويقيمون قواعدهم عليها ، وقد بنوا كثيراً من أحكامهم النحوية واللغوية على ما وصل إليهم من القراءات، التي لا تخضع لمقاييس البصريين ولا تندرج في أصولهم ، ذلك أن الكوفة كانت مهجر كثير من الصحابة ثم صارت أكبر مدرسة لقراءة القرآن [١٤٩].

المبحث الثالث

الرد على النحويين

سبق أن معظم النحويين البصريين يرفضون القراءة إذا لم توافق قواعدهم، وأن معظم الكوفيين يقبلونها ويبنون عليها القواعد النحوية، والعجب كل العجب من هؤلاء المنكرين ،فإن القراءة لا تتبع العربية بل العربية تتبع القراءة ؛لأنها مسموعة من أفصح العرب بإجماع وهو النبي – صلى الله عليه وسلم- ومن أصحابه ومن بعدهم.

---

[١٤٥]) سورة مريم من الآية ٦٩.

[١٤٦]) هي قراءة طلحة بن مصرف وهارون بن موسى الأعور ومعاذ بن مسلم الهراء والأعمش، وقرأ الجمهور "أيُّهُمْ" – بالضم – وهي حركة بناء على مذهب سيبويه، وحركة إعراب على مذهب الخليل ويونس، وانظر الكتاب ٣٩٨/٢ – ٣٩٩، و مختصر ابن خالويه ص ٨٦ والبحر ٢٠٨/٦،٢٠٩.

[١٤٧]) انظر: الإنصاف ٧١٤/٢.

[١٤٨]) انظر : الكوفيون والقراءات ، للدكتور حازم سليمان الحلبي ص٥٠،٥١ – طبعة ١ سنة ١٩٨٩م – مطابع دار الشئون الثقافية العامة- بغداد .

[١٤٩]) انظر : مدرسة الكوفة: ٣٤٥.

وقد تعجب أبو حيان من احتجاج النحويين بقوله رؤبة[١٥٠] وترددهم في الاحتجاج بقراءة الحسن [١٥١] ثم إن قول رؤبة قد يكون من عند نفسه ،أما قراءة الحسن فهي قراءة تلقاها من عدل ثقة؛ حتى رسول — صلى الله عليه وسلم –.

والنحويون يقدمون النقل والسماع على القراءة وهذا الصنيع قلبٌ للقضية رأساً على عقب، فقد يكون البيت المسموع مفتعلاً مصنوعاً، وما أكثر الأبيات المجهولةَ القائل، وما أكثر الأبيات التي رويت عن الشعراء القدامى ، وقد يكون في رواتها من لا يتصف بالأمانة في النقل فيبدل في الرواية .

أما نقل القراء فهو أثبت، فقد اشترط العلماء في القراءة أن يرويها جماعة عن جماعة لا يمكن تواطؤهم على الكذب. وقد انتقد أبو حيان ابن عطية عندما رجَّح نقل ابن جني على نقل أبي عمرو الداني ورد عليه بقوله. " قال : ابن عطية : وأبو الفتح أثبت [١٥٢] و هذا الذي قاله من أن أبا الفتح أثبتُ، كلامٌ لايصح ، إذْ رُتْبة أبي عمرو الداني في القراءات ومعرفتها وظبطِ رواتِها واختصاصه بذلك بالمكان الذي لا يدانيه أحد من أئمة القراءات فضلاً عن النحاة الذين ليسوا مقرئين ولا رووا القرآن عن أحد ولارُوِي عنهم القرآن "[١٥٣] ولم يشأ الله–تعالى– أن يضع علماً من العلوم في صدر رجل ، وهيهات أن يحوي لغوي ما تضمنته اللغة ، وقد سبق أن أبا عبيد القاسم بن سلام خفي عليه ما في كتاب [١٥٤] سيبويه من ذكر اللغتين في "غدوة" ؛ فسارع وخطأ ابن عامر في قراءته [١٥٥] "بالغُدوَة"[١٥٦] بدل "الغَداة". [١٥٧]

إن النحويين واللغويين بشر يخطئون ويصيبون ،وربما وقع أحدهم في خطأ فاحش حينما لا يعرف الإعراب،أو يتشبث بوجه من الوجوه الإعرابية تجعله ينكر على القراء ، وربما حكم على قراءة أحدهم بأنها تكفر

---

[١٥٠]) هو رؤبة بن عبد الله العجاج بن رؤبة التميمي السعدي من الفصحاء المشهورين، أخذ عنه أعيان أهل اللغة ،وهو من مخضرمي الدولتين الأموية والعباسية، وكان أهل اللغة يحتجون بشعره، ت ١٤٥ هـ. انظر الشعر والشعراء لابن قتيبة ٩٨/٢ تح/أحمد محمد شاكر طبعة ٣سنة١٩٧٧م.

[١٥١]) انظر البحر ٤٦/٦.

[١٥٢]) أي من أبي عمرو الداني.

[١٥٣]) البحر ٣٠٩/٤ وانظر: النهر الماد من البحر لأبي حيان–أيضاً– ٣٠٨/٤. مطبوع بحاشية البحر المحيط ط ١ سنة ١٣٢٨هـ –السعادة.

[١٥٤]) انظر الكتاب ٤٨/٢.

[١٥٥]) السبعة ص ٢٥٨.

[١٥٦]) سورة الأنعام من الآية ٥٢.

[١٥٧]) انظر البحر ١٣٦/٤.

من يقرأ بها ، نفهم هذا حينما نقرأ كلام ابن قتيبة ، فاستمع إليه يقول :لو أن قارئاً قرأ: " فلا يَحْزنك قَوْلُهم أَنَّا نَعْلَمُ ما يُسِرُّون وَمَا يُعْلِنُون"[١٥٨] و ترك طريق الابتداء بـ "إنّا " وأعمل القول فيها بالنصب على مذهب من ينصب "أنَّ" بالقول كما ينصبها بالظن – لَقَلَب المعنى على جهته وأزاله عن طريقه،وجعل النبي – صلى الله عليه وسلم- محزوناً لقولهم : " إنَّ الله يعلم ما يسرون وما يعلنون "وهذا كفر ممن تعمده ، وضرب من اللحن لا تجوز الصلاة به ولايجوز للمأمومين أن يتجوزوا فيه."[١٥٩] فهذا خطأ في الإعراب و فساد في المعنى ، إذ يفهم من كلامه السابق أن المصدر الموؤل على قراءة فتح همزة "أنَّ" – وهي قراءة أبي حيوة-[١٦٠] مفعول للقول،على تأويله بالظن ، ففسد المعنى فجعل ذلك لحناً .

وقد فعل ذلك – أيضاً – في قوله – تعالى – " ولا يَحْزُنْكَ قُولُهُمْ إنَّ العِزَّةَللهِ جميعاً" [١٦١]، وقال ابن خالويه : " ولا يحزنك قولهم أنَّ العزة لله جميعاً" بفتح الهمزة أبو حيوة ، قال ابن قتيبة من فتح همزة "إنَّ" ها هنا فقد كفر، قال ابن خالويه : له وجه عندي ذهب عن ابن قتيبة بنصب "أنّ" بتقدير فعل غير القول ، والتأويل: ولا يحزنك قولهم : إنكارهم أن العزة لله [١٦٢] .

وقال أبوحيان:"وقرأ أبو حيوة – بفتح الهمزة – وليس معمولاً لقولهم ؛ لأن ذلك لا يحزن النبي – صلى الله عليه وعلى آله وسلم – إذ هو قول الحق، وخَرَّجْتُ هذه القراءة على التعليل" [١٦٣] .

فانظر أيهاالمنصف كيف استشكل على ابن قنيبة ، فحاد عن الإعراب الصحيح ، مما حدا به إلى تكفير من يقرأ بفتح همزة "إنَّ" .

و مهما يكن من شيء " فإنَّ" أئمة القراءة لا تعمل في شيء من حروف القرآن على الأفشى في اللغة والأقيس في العربية بل الأثبت في الأثر والأصح في النقل والرواية إذا ثبت عنهم ، لم يردها قياس عربية ولا فشو لغة؛لأن القراءة سنة متبعة يلزم قبولهاو المصير إليها [١٦٤]

---

[١٥٨]) سورة يس من الآية :٧٦.

[١٥٩]) مشكل القرآن ص ١٢.

[١٦٠])) مختصر ابن خالويه ص ٥٧ والبحر ٥/ ١٧٦. وأبو حيوة هو شريح بن زيد ، أبو حيوة الحضرمي ، مقرىء الشام ، له اختيار في القراءة، روي القراءة عن الكسائي وروي عنه ابنه حيوة وعيسى بن المنذر وغيرهما ، ت ٢٠٣ هـ. وانظر غاية النهاية ١/ ٣٢٥.

[١٦١]) سورة يونس من الآية :٦٥.

[١٦٢]) مختصر ابن خالويه :٧٥.

[١٦٣]) البحر ٥/ ١٧٦.

[١٦٤]) النشر ١/ ١٠، ١١.

وليختلف البصريون والكوفيون ما شاء لهم الاختلاف ، ولكن لا يصح الحكم على قراءة بالشذوذ مع صحة سندها وموافقتها لرسم من المصاحف العثمانية لمجرد عدم موافقة البصريين للكوفيين في هذا التقدير أو ذاك ، أو لمخالفة تخريج الكوفيين لمذهب البصريين.

بل كان الواجب أن يصحح البصريون والكوفيون قواعدهم وأن يجعلوها مرنة بحيث تقبل القراءات ، وعليهم أن يتخذوا من القراءات الصحيحة شاهداً على تعديل قواعدهم و تصحيحها[١٦٥]

والحق – في هذا المقام – أن القرآن حجة على غيره ، وليس غيره حجة عليه،[١٦٦] والقراءات جزء من القرآن رواها التابعون عن الصحابة عن رسول الله – صلى الله عليه وسلم – فأخذ عن الصحابة ما أخبرونا به عن رسول الله – صلى الله عليه وسلم – بما هو عندهم بالمشاهدة والسماع ؛ لما ثبت من عدالتهم وثقتهم وصدقهم.[١٦٧]

الخاتمة

الحمد لله حمدا يوافي نعمه، ويكافئ مزيده، وأشهد أن لاإله إلا الله وأن سيدنا محمدا رسول الله ، صلى الله عليه وعلى آله وسلم تسليما كثيرا.. وبعد

فلقد توصلت بحمد الله وشكره من خلال معايشتي لهذا البحث إلى النتائج الآتية:

= أول نحوي وقف له على رأي في بعض القراءات هو أبوعمرو بن العلاء

= حمل أكثر النحويين حملة آثمة على القراء ولحّنوهم وردوا قراءتهم في كثير من المواطن، وهذه الحملة حمل لواءها البصريون، ثم تطاير شررها إلى بعض الكوفيين؛ فأسهم فيها بعض منهم، وكان على رأس الكوفيين المنكرين على القراءة: الكسائى والفراء

= هيأ الله للقراءات القرآنية من يقبلها من النحويين ويدافع عنها وهم كثير.

= القراءات تعدّ مصدراً من مصادر النحو الكوفي؛ فالكوفيون – في أغلب الأحيان – يأخذون بالقراءات السبع وبغيرها من القراءات يحتجون بها ، ويجيزون ما ورد فيها

---

[١٦٥] انظر: القراءات واللهجات للدكتور عبد الوهاب حمودة : ١٣٢.

[١٦٦] انظر: غرائب القرآن ورغائب الفرقان للنيسابوري ٣٧/٨ ط مصطفى البابي سنة ١٣٨١ هـ ١٩٦٢ م.

[١٦٧]) الفصل في الملل والأهواء والنحل لابن حزم الظاهري ٧٦،٧٧/٢ المطبعة الأدبية سنة ١٣١٨هـ

= النحويون واللغويون بشر يخطئون ويصيبون ،وربما وقع أحدهم في خطأ فاحش حينما لا يعرف الإعراب،أو يتشبث بوجه من الوجوه الإعرابية تجعله ينكر على القراء

= لا يصح الحكم على قراءة بالشذوذ مع صحة سندها وموافقتها لرسم من المصاحف العثمانية لمجرد عدم موافقة البصريين للكوفيين في هذا التقدير أو ذاك، أو لمخالفة تخريج الكوفيين لمذهب البصريين.

المصادر والمراجع

أ)الرسائل العلمية:

= أثر القرآن والقراءات في النحو –رسالة دكتوراه إعداد محمد سمير عبد الباقي بكلية اللغة العربية بالقاهرة .

ب)الحوليات والمجلات العلمية:

مجلة مجمع اللغة العربية ، الجزء السابع عشر بحث الأستاذ على النجدي ناصف: بين القراء والنحاة ص ٣٩.

ج)المطبوعات:

١= إتحاف فضلاء البشر في القراءات الأربعة عشر للبناء الدمياطي، مطبعة الميمنية ، مصطفى البابي الحلبي .

٢=أصول النحو العربي للدكتور / محمد خير الحلواني –ط محل العليا للتصوير والتجليد – بريدة.

٣= الاقتراح للسيوطي ط ٢– دائرة المعارف العثمانية بحيد آيار .

٤= الإنصاف في مسائل الخلاف بين النحويين البصريين والكوفيين ، لأبي البركات الأنباري – طبعة المكتبة العصرية، صيدا ، بيرون سنة ١٤٠٧هـ– ١٩٨٧م ..

٥=البحر المحيط : لأبي حيان ط ١ سنة ١٣٢٨ هـ مطبعة السعادة بمصر .

٦= التبيان في إعراب القرآن للعكبري ط١ سنة ١٣٩٩هـ– ١٩٧٩م. المكتبة التوفيقية .

٧= التصريح بمضمون التوضيح للشيخ خالد الأزهري – المطبعة الأزهرية المصرية

٨= التيسير في القراءات السبع لأبي عمرو الداني ، دار الكتاب بيروت

٩= جامع البيان في تفسير القرآن للطبري ، الطبعة الأولى سنة ١٣٢٠ هـ بولاق

١٠= حاشية الشيخ ياسين الحمصي– مطبوع بحاشية التصريح بمضمون التوضيح للشيخ خالد ط١ سنة ١٣١٣ هـ المطبعة الأزهرية المصرية

١١= حاشية السيرافي على كتاب سيبويه –ط ١ سنة١٣١٦ بولاق

١٢= حاشية كتاب سيبويه: للمحقق الأستاذ: عبد السلام هارون– ط /٢ سنة ١٤٠٢ هـ ١٩٨٢ م الناشر: مكتبة الخانجي بالقاهرة.

١٣= الحجة في القراءات السبع تح د/ عبد العال سالم مكرم ط ٢ دارالشرق

١٤= الخصائص لابن جني تح / محمد على النجار– مطبعة دار الكتب .

١٥= درة الغواص في أوهام الخواص للحريري –الطبعة الأولى .
١٦= الدفاع عن القرآن ضد النحويين والمستشرقين للدكتور / أحمد مكي الأنصاري دار المعارف بمصر سنة ١٩٧٣.م
١٧= أبو زكرياء الفراء ومذهبه في النحو واللغة، للدكتور / أحمد مكي الأنصاري –طبع المجلس الأعلى للفنون والعلوم الاجتماعية سنة ١٣٨٤هـ- ١٩٦٤
١٨= الشاهد وأصول النحو في كتاب سيبويه ،للدكتورة/ خديجة الحديثي ص ٤٧ – مطبوعات جامعة الكويت سنة ١٣٩٤هـ ١٩٧٤م.
١٩= شرح تلخيص الفوائد وتقريب المتباعد، لأبي البقاء علي عثمان بن القاصح، على عقيلة أتراب القصائد للشاطبي — الهيئة العامة لشؤن المطالع الأميرية .
٢٠= شرح المفصل لابن يعيش — عالم الكتب — بيروت.
٢١= الشعر والشعراء لابن قتيبة تح/أحمد محمد شاكر طبعة ٣سنة١٩٧٧م.
٢٢=طبقات النحويين واللغويين للزبيدي تح/ محمد أبو الفضل إبراهيم — دار المعارف بمصر سنة ١٩٧٣م.
٢٣= غاية النهاية في طبقات القراء لابن الجزري عُنِيَ بنشره برجستراسر مكتبة المتنبي بالقاهرة بدون تاريخ .
٢٤= غرائب القرآن ورغائب الفرقان للنيسابوري- ط مصطفى البابي سنة ١٣٨١ هـ ١٩٦٢ م.
٢٥= الفصل في الملل والأهواء والنحل لابن حزم الظاهري –المطبعة الأدبية سنة ١٣١٨هـ
٢٦= القراءات واللهجات لعبد الوهاب حمودة مطبعة السعادة ١٣٦٨هـ ،١٩٤٨ م. القاهرة
٢٧= القرآن الكريم وأثره في الدراسات النحوية د/ عبد العال سالم مكرم _ دارا لمعارف ١٩٦٨م
٢٨= الكامل للمبرد تح محمد أبو الفضل إبراهيم وآخر ، مطبعة نهضة مصر سنة ١٩٥٦م .
٢٩= كتاب السبعة لابن مجاهد تح .د/ شوقي ضيف دار المعارف الطبعة الثانية من دون تاريخ.
٣٠=الكتاب لسيبويه تح/ عبد السلام هارون . مكتبة الخانجي ، الطبعة الثانية ١٤٠٢هـ سنة ١٩٨٢م.
٣١= الكشاف للزمخشري ٥٥١/٢ رتبة وضبطه وصححه: مصطفى حسين أحمد . الناشر دار الكتاب العربي سنة ١٤٠٦هـ ١٩٨٦م
٣٢= الكوفيون والقراءات ، للدكتور حازم سليمان الحلبي – طبعة ١ سنة ١٩٨٩م – مطابع دار الشئون الثقافية العامة- بغداد
٣٣= المحتسب في تبيين وجوه شواذ القراءات والإيضاح عنها، لابن جني، تح / علي النجدي ناصف و آخرين. القاهرة ١٣٨٦هـ .
٣٤ = مختصر في شواذ القرآن من كتاب البديع لابن خالويه –عني بنشره بر جستراسر- مكتبة المتنبي – القاهرة،
٣٥= مدرسة الكوفة للدكتور / مهدي المخزومي ط دار الأندلس بيروت .
٣٦= معاني القرآن للفراء ٧٥/٢ تح الأستاذ / محمد على النجار وآخرين ط دارالسرور- بيروت- لبنان- من دون تاريخ.
٣٧= معاني القرآن و إعرابه للزجاج شرح وتحقيق د/ عبد الجليل عبده شلبي ط عالم الكتب .

٣٨= المعجم الوسيط ، مجمع اللغة العربية الطبعة الثانية من دون. = المقتضب للمبرد ١١٩/١ تح/ الشيخ محمد عبد الخالق عضيمة . الناشر المجلس الأعلى للشئون الإسلامية ١٣٩٩هـ

٣٩= المنصف شرح الإمام أبي الفتح عثمان بن جني لكتاب التصريف للإمام أبي عثمان المازني ٣٠٧/١ تح / إبراهيم مصطفى وعبد الله أمين ط مصطفى الحلبي سنة ١٩٧٣م.

٤٠= نحو القراء الكوفيين.لخديجة أحمد مفتي ط١ ١٤٠٦هـ – ١٩٨٥م – –الفيصل – مكة المكرمة

٤١= نزهة الالباء في طبقات الأدباء لعبد الرحمن الأنباري – القاهرة ١٢٩٤هـ.

٤٢= نشأة النحو وتاريخ أشهر النحاة للشيخ محمد الطنطاوي –ط ٥ سنة ١٤٠٨ هـ سنة ١٩٨٧ م. دار المنار

٤٣= النشر في القراءات العشر لابن الجزري ، دار الكتب العلمية بيروت بدون

٤٤= نظرية النحو القرآني : نشأتها وتطورها ومقوماتها الأساسية للدكتور / أحمد مكي الأنصاري ط سنة ١٤٠٥ هـ مطابع أبو الفتوح.

٤٥= النهر الماد من البحر لأبي حيان– مطبوع بحاشية البحر المحيط ط ١ سنة ١٣٢٨هـ –السعادة.

.